وثائق حزبية
من تاريخ البعث

الظاهرة الدينية
والظاهرة السياسية الدينية

موقفنا الثابت
من الإسلام السياسي

من أوراق المؤتمر القومي 12
لحزب البعث العربي الإشتراكي
بغداد - العراق 1992

منشورات





الظاهرة الدّينيّة والظاهرة السياسية الدينية

ان احدى المزايا الكبرى لفكر حزبنا تتجلى في نظرته العميقة الى الدين - كحقيقة اساسية خالدة في حياة البشر - والى دور الاسلام الثوري الحضاري الانساني المتجدد في حياة العرب والمسلمين، والى الوحدة العضوية المصيرية بين العروبة والاسلام، وكذلك في ابرازه للابعاد الروحية للقومية العربية، الامر الذي يفتقر اليه الفكر القومي العربي والمفاهيم الثورية التحررية والتقدمية المعاصرة، كما تميزت التجربة النضالية الطويلة والغنية التي تتوجت بقيام تجربة الحزب الثورية الرائدة في العراق .. بالقدرة على تحديد المواقف الستراتيجية لمختلف القضايا التي تواجه النضال العربي في ضوء التمييز بين القضايا الجوهرية الاساسية لهذا النضال، وبين الدعاوى الزائفة والموجات التي تنتشر بعناوين كبيرة لتشويه المعاني الحضارية والانسانية لنهضة العرب المعاصرة.

ومن هنا كان التفريق بين الظاهرة الدينية، والظاهرة السياسية الدينية منطلقا اساسيا في معالجة حزبنا لاحدى القضايا الهامة والحادة التي تطرح نفسها، في هذه المرحلة، على الساحة العربية.

فالظاهرة الدينية هي من الظواهر التي تتعرض الى مد وجزر، لا من حيث الايمان الديني، وإنما من حيث حماسة الترويج للافكار الدينية مقترنة باحداث المرحلة.

فهي غالبا ما تبرز في ظروف القهر والخيبة والقنوط، وفي ظروف الكوارث الطبيعية، وفي ظروف الحروب، وبعد النكسات السياسية والقومية التي هي، احيانا اقسى من الكوارث الطبيعية، أي في الظروف التي تكون فيها الازمات عامة شاملة وعميقة وحادة، والتي يكون فيها البشر عاجزين، وفق ما هو متاح لهم من وسائل، عن مواجهة تلك الظروف او ضعيفي المقدرة على بلورة الحلول القادرة على استيعاب حاجات المرحلة والتجديد في الوسائل الكفلية بتوفير الفعالية لها، أي عجز القدرة عن تجديد بناء الثقة فيما بينها وبين جماهير الشعب، فقد تتحول (الظاهرة الدينية)، ضمن مرحلتها، الى ظاهرة سياسية دينية، وخاصة عندما تبقى ظروف الرفض لما يحيط بتلك الجماهير ثابتة نسبيا، وعندما يستمر الأستعداد للرفض في غيبة آفاق قريبة وامكانية ملموسة، لحلول منقذة، تأتي من عقيدة عصرية، تحمل معها الجواب العلمي الصحيح على الازمات العامة التي يمر بها المجتمع، وفي هذه الحالة تنتكس حركة الرفض الجماهيرية ذات الطابع الديني الايجابي .. وتصبح حالة تراجع اكثر منها حالة تقدم نحو الجواب السليم، لانها، بدلا من ان تتجه الى الابداع في اكتشاف الحلول، تتحول الى الماضي لتستنسخه لا لتستلهمه، فتأخذ الجاهز من القديم، من غير ان يشغل المعنيون انفسهم بتطوير ما هو حديث وملائم للعصر .. وهكذا تتحول الظاهرة الدينية الى نوع من الشعوذة السياسية والدينية معا .. لانها سوف تفقد الاصالة والابداع السياسي.

لذلك لابد، لمعالجة الظاهرة الدينية والظاهرة السياسية الدينية، من الانطلاق من ضرورة التمييز بين ما هو طبيعي في التعامل مع الدين، وبين استغلال الدين لاغراض دنيوية، وركوب موجات تصاعد المشاعر الدينية في بعض الظروف المفهومة، لتحويل الدين الى سياسة، والى شعارات سياسية.

فالفرق واضح بين الظاهرة العامة غير المسيسة، التي تأخذ شكل انتعاش للظاهرة الدينية، ولتنامية الشعائر الدينية، بشكل يعبر عن الايمان المقترن بالقلق والضيق والاحتجاج والرفض للسياسة التابعة للقوى الاستعمارية ومخططاتها التآمرية العدوانية، وللاوضاع السلبية، عندما يصيب المجتمع الفساد الاجتماعي والتحلل الخلقي، والنقل الآلي للظواهر المدنية الغربية، أي عندما تتهدد الاصالة، وبين حالة تبني شعارات دينية، ليس لجوهر الدين، وإنما لاغراض سياسية.ان التفريق بين المتدين وبين المسيس، الذي يستخدم الدين كغطاء للسياسة، مسألة مهمة .. لأن عدم الادراك لهذا الفارق الذي يفصل بين المتدينين ورغباتهم،وتقدم المشروع احيانا،

وبين السياسة المغطاة بشعارات دينية واهدافها، قد ساق بعض الانظمة التي عجزت عن هذا الفصل الى مواقف توهمت معها ان التساهل مع الظاهرة السياسية الدينية يقربها من جماهير الشعب، او انها اكتفت برد الفعل السلبي الذي يتجاهل الجذور الدينية العميقة لمجتمعنا، او في كل اقطار العرب، ومشروعية التدين وضرورة الايمان الذي ليس له اغراض سياسية مسبقة، وبالتالي امكانية الحوار مع المتدينين غير المسيسين، وبخاصة الشباب منهم الذين انساقوا الى مواقع المستغلين سياسيا للدين، من غير تفريق صحيح بين مقتضيات السياسة واهدافها ووسائلها، وبين مقتضيات الدين وشعائره ووسائله، فتداخلت لديهم الاغراض السياسية والنوايا الدينية.

فالتمييز بين الظاهرة الدينية والظاهرة السياسية الدينية يقطع الطريق على استغلال الظاهرة السياسية الدينية للنزوع الديني للجماهير العربية، من اجل تمرير برنامج دنيوى معاد لهذه الجماهير.

وانطلاقا من كل ذلك ظل حزب البعث العربي الاشتراكي يميز بين حقيقة الدين، وحقيقة القوى الرجعية التي تستغل الدين والشعارات الدينية، دفاعا عن مصالحها ومواقعها في المجتمع، وللمحافظة على اوضاع التخلف والتجزئة والتبعية .. والفرق كبير بين الحقيقتين، وذلك لان هذه القوى تمثل اكبر خطر يهدد الدين.فهي تحمل لواء الدين وتتاجر بالشعارات الدينية وتستغلها لمحاربة حركة التحرر العربية، واعاقة انطلاقتها.كما يقول القائد المؤسس: (هي اكبر خطر على الدين، وهيَ التي تهدم مجتمعنا وتشوهه.فلو لم تكن نحن، ولو لم تكن حركتنا موجودة لتهدد المجتمع العربي بأن يشوهه الالحاد، اذ اننا، بمقاومتنا الرجعية الدينية، بدون اعتدال وبدون مسايرة، وبمواقفنا الجريئة المؤمنة منها، ننقذ مجتمعنا العربي من تشويه الالحاد) .. لذلك علينا ان ننظر الى الحركات الدينية / السياسية من خلال توجهاتها السياسية والاقتصادية والعملية، وليس فقط من خلال شعاراتها وطروحاتها الدينية.

وفي هذا الاطار شهدت العقود الاربعة السابقة صراعا متنوعا وواسعا بين هذه الحركات وحركة التحرر العربية في معظم البلدان العربية، وفي مقدمتها حزبنا، حزب البعث العربي الاشتراكي، وذلك انطلاقا من واقع حركة الصراع السياسي والاجتماعي في الوطن العربي بشكل عام.وهذا الصراع لم يكن حول حقيقة الدين ودوره في المجتمع العربي، بل كان حول قضايا النهضة العربية الحديثة، وعلى رأسها قضايا التحرر العربي ومكافحة الاستعمار والنفوذ الاجنبي

والقوى الرجعية المرتبطة به، وقضايا بناء القدرة العربية الموحدة والمستقلة.وفي مواجهة هـذا الواقع كانت الحركات الاسلامية في مختلف البلدان العربية، خاصة خلال فترة الخمسينات والستينات، تقف الى جانب القوى الرجعية المحلية، بقيادة السعودية وامارات الخليج، تحت مظلة الشعارات الاسلامية ومحاربة الشيوعية.وهي، في الواقع، كانت تقف مع الانظمة الاستبدادية المتخلفة والمرتبطة بقوى الاستعمار الانجلو امريكي، وتحارب حركة التحرر العربية بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي، والقائد العربي جمال عبد الناصر، والقوى الوطنية والقومية الاخرى.لذلك وجدت نفسها في خندق واحد مع قوى الرجعية العربية، ومع السياسة الاستعمارية البريطانية والامريكية في المنطقة، ممثلة في حلف بغداد، معاداة وحدة مصر وسوريا والاجراءات الاشتراكية، مؤامرة الانفصال، الحلف الاسلامي .. الخ.وفي فترة ما بعد هزيمة يونيو / حزيران ١٩٦٧ واصلت هذه الحركات خطها المعادي لحركة التحرر العربية، والمرتبط بمعسكر القوى الرجعية والمخططات الاستعمارية في المنطقة.وفي فترة السبعينات حدث تطور هام في تركيبها الاجتماعي وتوجهاتها السياسية والاقتصادية الاساسية، وذلك نتيجة لتوطد علاقاتها مع السعودية وامارات الخليج، وظروف الطفرة النفطية، والنشاط الاقتصادي الواسع الذي شهدته بلدان المنطقة.

فقد ادت هذه الظروف، في مجملها، الى تعميق ارتباطات كثير من قيادات الحركات الاسلامية بدوائر رأس المال السعودي والخليجي المتداخل مع رأس المال الاحتكاري العالمي.وتزايد اهتمامها ودخولها في النشاط الاستثماري والاقتصادي، وذلك من خلال استخدام كوادرها في المؤسسات السعودية والخليجية، ومن خلال المساهمة في تكوين وادارة مؤسساتها الخاصة، كالبنوك الاسلامية والشركات المالية والتجارية المرتبطة بها، بالاضافة الى الاستفادة من التسهيلات والمساعدات، وامكانيات منظمة الدعوة الاسلامية والمنظمات المشابهة.

ومع تطور وتوسع نشاطاتها التجارية والاقتصادية هذه، اصبحت الحركات الاسلامية، في معظم البلدان العربية، تستند الى نشاط اقتصادي واسع وقاعدة اجتماعية كبيرة وسط القوى الاجتماعية المسيطرة عموما، وخاصة وسط فئات الرأسمالية التجارية والمصرفية الطفيلية، كما تعكس ذلك تجربة السودان ومصر، على الاقل، حيث يمكن الآن الحديث عن فئات رأسمالية مرتبطة بالحركات الاسلامية، مقابل الفئات الرأسمالية الاخرى في المجتمع.وهذا ما دفع هذه الحركات الى ان تتبنى، بوضوح،نهج الانفتاح الاقتصادي ونمط التنمية الرأسمالي التبعي وسياسات

التوجه الدكتاتوري المعادي للديمقراطية، ومشاركة الجماهير في تقرير مصيرها، كتوجهات اساسية في برامجها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، تحت غطاء الشعارات الاسلامية والشريعة السمحاء.

واذا كان هذا التطور يتماشى مع علاقات الحركات الاسلامية، خلال السنوات الاخيرة، وتأثيراتها في تراكيبتها وتطلعاتها، فانه، بالتأكيد، يختلف مع شعاراتها وطروحاتها خلال الاربعينات وبداية الخمسينات، حيث كانت حركة الاخوان المسلمين في مصر وسوريا، مثلا، تهاجم النفوذ الاجنبي وقوى الاقطاع والرأسمالية، وتتحدث عن العدالة الاجتماعية والاشتراكية الاسلامية.

واذا كان التقرير السياسي للمؤتمر القومي الحادي عشر عام ١٩٧٧ لم يتعرض للظاهرة السياسية الدينية، فلانها لم تكن ظاهرة بارزة الى الحد الذي يسمح بالتوقع بانها سوف تصبح عنوانا كبيرا لنظام خميني، بعد اقل من ثلاث سنوات من انعقاد ذلك المؤتمر القومي، وان هذا العنوان الكبير استخدم لاضخم مؤامرة عدوانية على العراق العربي الناهض، وعلى العروبة والاسلام، وعلى المعاني الحضارية لتراثنا القومي الانساني.

صحيح ان رفيقنا المرحوم القائد المؤسس، ميشيل عفلق كان، منذ منتصف السبعينات، قد عاد، من جديد، الى التأكيد على المكانة الخاصة لتراثنا الروحي والحضاري القومي، المتمثل، قبل كل شيء في ثورة الاسلام ـ (والجزء الثالث من الكتابات السياسية الكاملة مخصص لعلاقة البعث بالتراث)، التي بدأت بواكير التعبير عن مفهومها الاصيل منذ الاربعينات، وبخاصة في محاضرة ذكرى الرسول العربي عام ١٩٤٣) ـ وكانت عودة الرفيق القائد المؤسس الى التأكيد على هذا المنطلق الذي يشكل جوهر فكرة البعث (علاقة العروبة بالاسلام)، اكثر من مجرد عودة نظرية لتوضيح الافكار وشرحها من جديد، واغنائها بما استجد .. فقد كان الحس النضالي والبصيرة التاريخية، عاملين مباشرين في دفع القائد المؤسس المغفور له الرفيق ميشيل عفلق، الى تجريد هذا السلاح العقائدي وصقله لمواجهة مؤامرة تاريخية مقبلة بغطاء جديد، هو غطاء الظاهرة السياسية ـ الدينية.

وكذلك فعل الرفيق القائد صدام حسين، عندما عالج، في حديثه في اجتماع مكتب الاعلام، قبيل المؤتمر القومي الحادي عشر بتاريخ ١١ / ٨ / ١٩٧٧ مسألة (الدين والتراث) ولخص قناعته الصميمية حول هذا الموضوع بكلمته المشهورة:ـ

(ان حزبنا ليس حياديا بين الالحاد وبين الايمان، وإنما هو مع الايمان دائما، ولكنه ليس حزبا دينيا ولا ينبغي ان يكون كذلك .. ان عقيدتنا البعثية هي عقيدة الحياة للعرب، وهي ضد تسييس الدين من قبل الدولة وفي المجتمع، تعتز بالدين بلا سياسات للدين).

وقد صدق الحدس التاريخي لقيادة الحزب، فقد جاءت نهاية السبعينات تحمل معها نذر توظيف الظاهرة السياسية الدينية في مشروع عدواني، لتغطية الاهداف الحقيقية للشوفينية الايرانية المتحالفة مع الصهيونية والامبريالية، في عدائها للقومية العربية وللنهضة العربية التي جسدتها تجربة البعث في العراق.

فبعد فشل نظام الشاه في القيام بدوره ضد العراق والمنطقة، قامت قوى الامبريالية الامريكية بالتخلي عنه، وفتح الطريق امام خميني وزمرته بالصعود الى السلطة على ظهر الانتفاضات المتواصلة للشعوب الايرنية.ورغم ان السلطة الجديدة قد استندت الى الملالي وشعارات ((الثورة الاسلامية)) ومعاداة الاستكبار العالمي، الا ان سياساتها ونهجها العملي ظل يمثل امتداد طبيعيا لنهج الشاه المتمثل في معاداة الامة العربية، ونزعة التوسع والحلم الفارسي بالسيطرة على العراق ومنطقة الخليج العربي، وخدمة المخططات الاستعمارية والصهيونية في اضعاف الامة العربية وتفتيت وحدتها القومية الجغرافية والسياسية، من خلال التآمر على العراق الذي اصبح يمثل قلعة النهوض العربي والاسلامي في هذا العصر.

لقد جاءت الطغمة الخمينيه لتقوم بنفس الدور الذي فشل في تأديته نظام الشاه، رغم ترسانة الاسلحة الكبيرة التي كان يمتلكها، ورغم الدعم السياسي والعسكري والاقتصادي الذي كان يجده من قبل قوى الاستعمار الانجلو امريكي، وذلك لان التركيز العدواني ضد العراق المتحرر الناهض الذي يعيش قضايا الامة، ويتطلع معها الى مستقبل حضاري، يجسد روح العروبة والاسلام، كان يحتاج الى غطاء ايديولوجي، وقد اعتقد المتآمرون انهم اذا ما استغلوا عنوان الدين بامكانهم ان يخفوا خبث مقاصدهم الى وقت طويل، وانهم، عندما يحققون مقاصدهم وينهار جدار الفولاذ الذي يصدهم، سيسهل عليهم المضي بمؤامراتهم على امتداد الوطن العربي .. ولم يدركوا ان قوانين حياة العصر لا يمكن ان تغفل عن اغطية ايديولوجية زائفة، وقد استطاع العراق ان يمزق هذا الغطاء وان يكشف، بفضل منطق الحق وفضائل الصبر وقوة العقيدة، والبطولات الخارقة، عن تهافت منطق التآمر المصطنع الزائف، وان يظهر اصالة العقيدة القومية البعثية، وصدق تجاوبها مع اعماق جماهير الشعب والامة.

وقد كان ما جاء في الفصل السادس من التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع للحزب في العراق (حزيران ١٩٨٢) حول المسالة الدينية، تعبيراً عن الجهد الذي صاغ، بدقة، الموقف البعثي من الظاهرة السياسية، الدينية وزود المقاتلين في جبهة الحرب، بالسلاح المتفوق، تاريخيا وحضاريا، الذي استطاع ان يعطل سلاح الدجل المعادي للمنطق، وللروح، وللقيم الانسانية والخلقية، وان يفشل منطق العدوان، وان يخرجه من ساحة القتال مدحورا، قبل ان تتحطم الة العدوان، بشكل اضطر العدو للاعلان عن افلاسه، وعن تجرعه لمرارة الهزيمة التاريخية.

لقد اشار التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع الى حقيقة بارزة تتمثل في كون البعث هو ((الحزب الاشتراكي الثوري الوحيد في الوطن العربي، وفي المنطقة ايضا، الذي اعطى للمسألة الدينية اهتماما بارزا في عقيدته وفي سلوكه السياسي والاجتماعي)).

((غير ان الحزب لم يدع الى بناء دولة على الطراز الديني، وإنما دعا الى بناء دولة على اساس الرابطة الوطنية في اطار القطر الواحد، وعلى اساس الرابطة القومية في اطار الوطن العربي الكبير)).

لأن البعث عبر عن موقف قومي عربي اصيل نابع من تراث الامة القومي الديني، ومن الحاجات والخصوصيات التي يطرحها العصر الحديث في كل قطر عربي، وفي اطار النظرة القومية الشاملة .. لذلك وقف الحزب، دائما، موقفا اصيلا ومتماسكا من كافة القضايا الجوهرية التي طرحت عليه، قضايا الوطنية والقومية والدين والاشتراكية)).

كما اشار التقرير المركزي الى ان ((حركة القومية العربية التي تمثل الخيار التاريخي الاساسي للامة، قد اصيبت بنكسات متلاحقة (فشل وحدة ١٩٥٨، وفشل تجربة ثورة شباط ١٩٦٣، وقيام ردة ٢٣ شباط ١٩٦٦ ثم هزيمة حزيران ١٩٦٧) هذه النكسات التي شهدت بعدها سلسلة اشد خطورة، تمثلت في المؤامرة على حرب تشرين ١٩٧٣ وزيارة السادات للقدس، ومعاهدة كمب ديفيد، وتصدع الواقع القومي الذي شكل مؤامرة داخلية، لعب فيها حافظ اسد الدور الاكبر والاكثر خطورة ضد القضية الفلسطينية، وضد العراق، بتحالف سافر مع ايران والمخطط الصهيوني الامبريالي المساندة لها، في عدوانها على الامة من خلال العراق.

وفي ضوء حالة تلاحق النكسات التي شجعت ظهور الموجة السياسية ـ الدينية يلاحظ التقرير المركزي، كيف انها نمت نموا غير طبيعي وغير معبر عن حاجات اصيلة، وكيف ان الظاهرة الاساسية التي تطبع العقود الاخيرة بوجه خاص، هي ظاهرة وقوف الاحزاب والحركات

والتيارات الدينية السياسية ضد حركة القومية العربية.وهو الموقف الذي دفع بـالقوى والدوائر الاستعمارية والصهيونية الى تشجيعها.لانها ظاهرة انقسامية، تخدم مخططاتها، ولانـها ظـاهرة سلفية متخلفة في النظرة وفي الممارسة، تؤدي الى تراجع الامة ثقافيا وعلميا وتقنيا.

وقد قدمت التجربة الايرانية النموذج الاوضح لما يمكن ان تسفر عنه مثل هذه الظاهرة.

ويتوقف تقرير المؤتمر القطري التاسع عند الظاهرة السياسية الدينية فـي العـراق بوجه خاص، ويشير الى انها ليست جديدة.وان العراق قد عانى طويلا من هذه الظـاهرة تحت تـأثير الصلة بجواره، وظل طيلة ثمانية قرون تقريبا، يعاني الاحتلال، تحت ستار من الدين والطائفية.ان الظاهرة السياسية ـ الدينية بقيت من الظواهر شبه الدائمة التي تستغل الطائفية، لخلق حالات من الانقسام والتبعية، وان انتشارها بين اوساط معينة من الشباب، يرجع الى ظاهرة القلق في مراحل النكسات ومراحل الانتقال الحاسمة، وما يتخللها من حالات وظواهر ..)).

((اما الظاهرة السياسية الدينية الكبيرة والمفاجئة والتي بدت كانها مد ديني ـ سياسي طـاغ يسود المنطقة.فقد تمثلت بالتجربة الايرانية))، التي ثبت فشلها وافتضحت حقيقتها، وظهر تفككـها .. الا انها لن تصاب بنكسة قاضية الا مع سقوط التجربة الخمينية سقوطا كاملا ونهائيا.

وها قد مضى، على المؤتمر القطري التاسع، عشر سنوات، وقد شاهدنا انتشار هذه الظـاهرة الدينية والظاهرة السياسية الدينية في العديد من الاقطار العربية، ووصلت، احيانا، الى ما يلامسـه المد الشعبي في مصر، والى درجة واضحة من البروز في اقطار كالسودان والجزائر، حتى علـى مستوى السلطة، كغطاء وكقاعدة لانقلاب عسكري، او كمد شعبي كاد يوصل الى السـلطة، وهـي تشهد ازدهارا ضمن الحركة الشعبية في تونس، ولها في المغرب وموريتانيا مواقع، وكذلك فـي شمال اليمن، ولها جذور قديمة في الاردن، وفي سورية، بل اصبح لها داخل الانتفاضة الفلسطينية ركيزة فاعلة.اذن فهي ظاهرة تستحق ان تولى اهتماما كبيرا من لدن الحـزب والقـوى القوميـة والوطنية التقدمية، وان يكون الموقف منها بعيدا عن مجرد رد الفعل او الاهمال او الالتباس.

فبالرغم من ان الظاهرة السياسية الدينية قد تلقت ضربة قوية نتيجة فشل التجربة الايرانيـة، وتراجع الامال التي كانت تبنى عليها كانموذج، وبسبب انتصـار العـراق ـ النمـوذج القومـي

الحضاري المستند الى الصلة الحية بالاسلام .. أي بروح العروبة، وبالرسالة الانسانية .. نقول بالرغم من ذلك كله ما تزال الظاهرة السياسية ـ الدينية، ومنها الظاهرة السياسية الدينية المرتبطة بأيران، تستمد، من عوامل رئيسية واخرى مساعدة، مبررات وجودها ونموها وما ينطوي عليه ذلك من تحديات سلبية وايجابية بالنسبة للمشروع القومي الانبعاثي، وبخاصة بعد ان اصبحت بعض تيارات الظاهرة السياسية ـ الدينية وعاء لاتجاهات متأثرة بالمصالح الرجعية والسياسات الامريكية.فذلك كله يستدعي البحث في اتجاهات هذه الظاهرة لانها يمكن ان تلعب دورا سلبيا خطيرا في الاساءة الى الصحوة القومية والوحدوية في الوطن العربي، او دورا ايجابيا في دعمها وتعزيزها لدور الاسلام في الانبعاث الحضاري المعاصر للامة العربية.

وان اهم مقياس لهذا او ذلك من تيارات الظاهرة السياسية الدينية واتجاهاتها، هو موقفها المستقر غير المتذبذب من ام المعارك وشعاراتها والعراق وتضحياته، وبعبارة اخرى فان الموقف من العروبة والبعث يحدد المشبوه وغير المشبوه في الظاهرة الدينية، والسياسية الدينية.

وقد حدد الرفيق القائد المؤسس ـ رحمه الله ـ في كلمات له خلال التحضير لكلمة السابع من نيسان عام ١٩٨٩، تلك العوامل التي تجعل من الظاهرة السياسية ـ الدينية موضوعا مهما بالنسبة للفكر القومي، ولا يستطيع فكر آخر ان يستوعبه بتجرد وعمق واحاطة شاملة.

فالعوامل الرئيسية، تكمن كما يقول في (الفراغ القومي وفي شيوع الفساد المادي والاخلاقي، ومظاهر القمع والازمات الاقتصادية داخل الاوضاع القطرية، وكذلك في ما تمتلكه التيارات السياسية ـ الدينية من صلات مباشرة، ووسائل لمخاطبة قطاعات واسعة من الجماهير الشعبية داخل الاقطار.

اما العوامل المساعدة على نجاح مثل هذه التيارات في الظروف الراهنة، فهي تستند الى ضعف الوعي القومي في بعض الاقطار العربية، والى هزائم التيار القومي في الثلاثين سنة الماضية، وكذلك الى تحالفات خارج الوطن العربي.

ويضيف الرفيق المغفور له.ان ما في التيار الاسلامي في الوطن العربي من ايجابية موجوده في البعث ـ فهو (أي التيار الاسلامي) عندما افاقت الامة على الصدمة الحضارية بين الشرق الاسلامي والغرب، اخذ، برجوعه الى الجذور والاصول في الماضي، والاستنجاد بها على مواجهة الصدمة والعالم المتطور المتقدم والغازي، معنى الثورة .. الا انه لم يعبر عن الثورة التي تحتاجها

الامة في هذا العصر، لان التيار الاسلامي مثل حالة الانكفاء والمحاصرة للذات والتجمد على الماضي، والرجوع اليه بدون روح ثورية، فكان رجوعا سلبياً.

الرجوع الايجابي مثله التيار القومي الحضاري، وكان استنطاقا للماضي، وبحثا عن نواحي القوة والصحة فيه، للتسلح بها في المعركة الحديثة ـ معركة النهضة والوحدة.

فالتيار القومي يأخذ التراث ككل بالمعنى الحضاري، فلا يقتصر على التدين ولا على التشريع، وإنما يستلهم النظرة التي تتطلع الى الحياة المتقدمة الناضجة المكتملة من اجل بناء الحاضر والمستقبل على نفس الاسس ونفس الابعاد.وحسب.هذه النظرة، لا يتعارض مفهوم (الامة الاسلامية) مع المشروع الحضاري للامة العربية، بل يكون مكملا له.لانه يأخذ معنى متعدد الجوانب فيه الاتساع والقوة العددية الكمية والنوعية، كما يأخذ معنى مستقبليا ونضالياً لانها هي التي يمكن ان تتكافأ مع التحديات العصرية ومع قوة الاعداء.

وفي اطار ما تقدم ينبغي ان ننظر الى مواقف الحركات الاسلامية في المنطقة خلال المنازلة الكبرى (ام المعارك) ضد العدوان الامريكي الاطلسي الصهيوني على العراق والامة العربية.فالحركات الاسلامية والمؤسسات الدينية الرسمية والمرتبطة بالانظمة الحاكمة في السعودية وأمارات الخليج وقفت مع قوى العدوان وحلفائها في المنطقة ضد العراق والمصالح العربية والاسلامية العليا، وذلك منذ الحشد العسكري حتى الان.

وفي الجانب الآخر، اتخذ النظام الايراني موقفا انتهازيا بحجة الحياد في الشكل، اثناء المرحلة الاولى من العدوان.وبذلك تنصل من شعاراته في محاربة قوى الاستكبار العالمي والشيطان الاكبر وغيرها، وبعد توقف العمليات العسكرية المباشرة من دول التحالف الثلاثيني، انكشف دوره الحقيقي في القيام بتنفيذ الصفحة الثانية من العدوان على العراق، صفحة الخيانة والغدر، بأتفاق وتنسيق كاملين مع قوى العدوان الامريكي الصهيوني.لذلك ينبغي التفريق بين موقف الحركات الاسلامية، قبل ام المعارك وبعدها، وكذلك من الضروري التمييز بين موقف قيادات تلك الحركات، وبين موقف جماهيرها القوي المساند للعراق، خلال ام المعارك، وبعدها.

ان الحركات الاسلامية التي اتخذت موقفاً ايجابياً ضد قوى العدوان وعملائها في المنطقة، ومسانداً للعراق وتطلعات الامة العربية في التحرر والاستقلال والكرامة.قد اصطفت الى جانب القوى الوطنية والقومية الديمقراطية الاخرى.وكان لهذا الموقف تأثيراته الايجابية الواسعة في دعم العراق، سياسيا واعلاميا وفي الوضع العربي والاسلامي الرسمي، والشعبي بشكل عام.

ومع ان مواقف هذه الحركات كانت متفاوتة من حيث الفعالية والتأثير والوضوح، الا ان موقفها الاجمالي كان يعكس تجاوباً عميقاً ينطلق من احساس بالمخاطر الكبيرة المحدقة بمصير الامة العربية وشعوب العالم الاسلامي، بعد العدوان على العراق الذي اصبح يمثل قاعدة ومنطلقاً لحركة النهوض العربي والاسلامي المعاصر.وينطلق ايضا من الوعي بأن العدوان لا يستهدف العراق وحده، بل يستهدف العروبة والاسلام في الاساس.والمهم ان هذا الموقف يمثل تطورا جديدا في مواقف هذه الحركات، ويتناقض في جوهره، مع تأريخ بعضها في المنطقة، ومع التركيب الاجتماعي لخطها القيادي وكوادرها بوجه عام، وعلاقاتها السياسية والاقتصادية بدوائر رأس المال السعودي والخليجي والانظمة الحاكمة هناك، التي نمت وتوطدت خلال عقود عديدة.ولكنه بالتأكيد، يمثل تطوراً ايجابيا في خدمة حركة التحرر العربية وتطلعاتها في الوحدة والحرية والحياة الكريمة .. واذا ما سار هذا التطور في اتجاهاته المرئية هذه، فأنه يضع حدا بين الحركات المغطاة بغطاء الدين، والتي لن تنحو الا منحى شعوبيا في نتيجة مسارها، وبين الحركات الثورية المؤمنة ذات اتجاه العروبي بشكل عام.

ومن هنا تنبع ضرورة الاهتمام بمتابعته ودراسته وتوظيفه في الاتجاه الصحيح، ودون الدخول في التفاصيل يمكننا ان نقول ان هذا الموقف يجد تفسيره في عمق المواجهة التي فجرتها ام المعارك بين العروبة والاسلام من جهة، وقوى العدوان الامريكي الاطلسي الصهيوني وعملائه في المنطقة من جهة اخرى، وفي وضوح الشعارات والرايات الوطنية والقومية والاجتماعية والاسلامية والانسانية التي طرحتها المعركة، وخطابات ومبادرات الرفيق القائد صدام حسين، وفي ضخامة العدوان وشراسته، والصمود الاسطوري لشعب العراق البطل وجيشه الباسل وقيادته التاريخية الفذة، وفي اتساع الحركة الشعبية في بلدان الوطن العربي ووسط شعوب المسلمين التي فجرتها المنازلة خلف شعاراتها ومعانيها وقائدها.ويمكننا ايضا ان نقول ان المعركة قد فرزت الاسلام الحقيقي، وكشفت كل القوى الرجعية الانتهازية والنفعية المستترة بغطاء الاسلام .. فرزت الذين يؤمنون بأن (المعنى الذي يفصح عنه الاسلام في هذه الحقبة التاريخية الخطيرة، وفي هذه المرحلة الحاسمة بين مراحل التطور، هو ان توجه كل الجهود الى تقوية العرب وانهاضهم، وان تحصر هذه الجهود في نطاق القومية العربية ..)* وكشفت الرجعيين والانتهازيين والنفعيين الذين يريدون ان يجعلوا من الاسلام (جرابا يسع كل شئ، ومعملا ينتج شتى المركبات والادوية .. انهم

* الاعمال السياسية الكاملة ــ الجزء الأول ــ ص ١٤٦.

بدلا من ان يبرهنوا على قوته، ويحفظوا فكرته من كل تغير طارئ، يقضون بذلك علـــى روحـه وشخصيته، ويفقدونه مميزاته الحية واستقلاله وتعينه، وانهم، من جهة اخرى، يفسحون المجـال لدعاة الظلم وارباب الحكم الجائر، كي يستمدوا، من الاسلام، اسلحة يطعنون بها مـــادة الاسلام نفسه، أي الامة العربية ..)** .

وهذا الوضع فتح الطريق، بشكل واسع، امام الحوار واللقاء بين مختلف التيارات والحركـات السياسية في الوطن العربي بشكل عام، وبين الحركة القومية وفي مقدمتها حزبنا، حـزب البعـث العربي الاشتراكي والتيارات والحركات الاسلامية الجادة، بشكل خاص.

واذا كان هذا التطور يمثل احد اهم ايجابيات المنازلة الكبرى (أم المعارك)، وتأثيراتها العميقة في مجرى حركة التحرر العربية خلال الفترة القادمة، فان ظروف الواقع وتعقيداته تفرض علينـا فتح باب الحوار واللقاء مع كل التيـارات والحركـات السياسـية القوميـة والوطنيـة والدينيـة والماركسية في الوطن العربي، وفق اسس واضحة ومحددة، وفي اطار مؤتمر القـوى الشعبية العربية.وفي الحوار مع التيارات والحركات الاسلامية الجادة، علينا السير في هذا الاتجـاه علـى مستويين: المستوى الاول هو المستوى القومي العربي الذي تفرضه ظروف العـدوان الامريكـي الاطلسي الصهيوني على العراق والامة العربية، وذلك لمواجهته، دفاعا عن الهويـة الحضاريـة العربية الاسلامية، وعن حق الامة في بناء نهضتها القومية المستقلة ومساهمتها فـي الحضـارة الانسانية.

وفي هذا الاتجاه هنالك مجالات واسعة للحوار واللقاء والعمل المشترك، من اجل كسر الحصار الاقتصادي المفروض على العراق، واتخاذ موضوع استمرار الحصـار مـادة للنضـال القومـي، وللاستقطاب القومي، ولحركة الجماهير ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية، على اوسع واعمق مدى، ولمواجهة المحاولات الامريكية لتصفية القضية الفلسطينية، من خلال تسوية مذلة، وقضايـا الوحدة والديمقراطية بالإضافة الى القضايا العربية الكبرى الاخرى.ومن ثم تطوير اشكال الحـوار واللقاء والعمل المشترك الى مجالات اخرى للنضال القومي، انطلاقا من مقررات مؤتمـر القـوى الشعبية العربية، والمؤتمر الشعبي الاسلامي في دورتيهما الاخيرة.

والمستوى الثاني هو المستوى الوطني المرتبط بالظروف السياسية الخاصة بكل قطـر مـن الاقطار العربية، وبواقع الحركة السياسية وعلاقاتها الراهنة، وتوجهاتها المباشرة، في اطار حركة

** الاعمال السياسية الكاملة ـ الجزء الأول ـ ص ١٤٧.

الصراع السياسي والاجتماعي، في كل من هذه الاقطار واذا كانت ام المعارك قد فتحت باب الحوار واللقاء مع الحركات الاسلامية الجادة، واعطته دوافع ومبررات اضافية، فان العمل المشترك بين الحركة القومية والتيارات والحركات السياسية الاخرى، بما في ذلك الحركات الاسلامية، لا يمثل ظاهرة جديدة.

لذلك علينا دراسة تجاربنا السابقة والاستفادة من دروسها، وعلينا ايضا الاهتمام بدراسة الحركات الاسلامية في مختلف الاقطار، بهدف تفهم ظروف نشأتها وتطورها، والقوى التي تستند عليها، بالاضافة الى تفهم كيفية التعامل معها وتبادل الخبرات بين تنظيمات حزبنا في اقطار الوطن العربي .. ونقترح، هنا، عقد ندوات موسعة في هذا الاتجاه، حول الحركات الاسلامية، في المناطق والاقطار المختلفة (السودان ومصر، المغرب العربي، اليمن والسعودية والخليج، المشرق العربي، ايران) في اطار نشاط مكتب الثقافة والاعلام القومي.

ففي ضوء هذه النظرة تتحدد استراتيجية التعامل مع التيارات الدينية في الساحة العربية، بعد ام المعارك، وفق الاسس التالية:

١. ابراز المعنى الجهادي لام المعارك، والتركيز على المهمات الجهادية للمرحلة التي ينبغي ان تجمع القوى الوطنية والقومية، من شتى الاتجاهات الفكرية، على موقف استراتيجي موحد في مجابهة اعداء العروبة والاسلام.وتكون شعارات ام المعارك هي الشعارات المشتركة بين حزبنا والتيارات الاسلامية الدينية، واي شعارات اخرى مناسبة.
٢. التفريق، في النظرة والتعامل، بين النزوع الديني للجماهير العربية، وبين الحركات السياسية الدينية التي تعمل على استغلال هذا النزوع في اتجاه مضاد للحركة القومية.
٣. نقل العلاقة مع التيار الاسلامي من الصراع الى الحوار، كلما امكن ذلك.
٤. توضيح الرؤية البعثية العقلانية المتوازنة.
٥. كشف لعبة الاجنبي ومخططاته في استغلال الظاهرة السياسية الدينية، لمحاربة القومية العربية وايقاظ النزعات الشعوبية، واصطناع التناقض بين العروبة والاسلام، وخلق بؤر للانقسام والتناحر والتفرقة داخل مجتمعاتنا.
٦. توضيح نواحي التلاقي بين التيار القومي، وبين التيارات الدينية المتنورة، حول الاهتمام بالتراث والاصالة والشخصية الحضارية للامة، ودور الاسلام في حياة المجتمعات العربية

والاسلامية وفي نضالها وصمودها وانتزاع حريتها .. ودور العروبة في قيادة الجهاد الأسلامي ونشره وحفظ مساره الأصيل.

٧. التنبية لخطر وضع الاسلام في وجه العروبة، والى ان حرص امة واضحة الكيان والشخصية القومية والحضارية، كالامة العربية، على التحرر والتقدم والنضال في سبيل تحقيق وحدة اجزائها والنهوض بمجتمعها، لا يتعارض مع صحوة اسلامية حقيقية.

٨. تبصير الشعوب الاسلامية بالاوليات الاساسية، وتحذيرها من المخططات الشعوبية التي تصب في خدمة الصهيونية، وبان رابطة روحية وحضارية ونضالية تجمعها مع العرب في وجه الاستعمار الاجنبي والخطر الصهيوني وهدف تحرير فلسطين الارض المقدسة من الاغتصاب الصهيوني، وكذلك هدف العمل على تجاوز معيقات النهضة.وان وضع الاسلام، في وجه العروبة يقدم اكبر خدمة للصهيونية والامبريالية والشعوبية.

٩. ابراز النتائج السلبية المدمرة للتجربة الايرانيه الخمينية، التي وجهت عدوانها ضد بلد عربي مسلم ناهض، ووضعت كل ثقل ايران البشري لتدمير العراق، بدلا من توجيه قواها ضد اعداء الاسلام، وبدلا من بناء تجربة تنهض ببلادها وترتقي بالجماهير الايرانية وبوعيها.وكيف ان الاسلوب غير العقلاني في تهييج الجماهير، وابعادها عن امتلاك العقلية الحديثة والنظرة الحضارية.لابد ان يؤدي الى ما انتهت اليه التجربة الايرانية من كوارث وفشل.

١٠. ((ان قومية الامة هي الاساس والشرط ضروري لفهم علاقة الاسلام بالعروبة، وعلاقة العرب بالشعوب الاسلامية، فوحدة العرب التي كانت المقدمة الضرورية لتوحيد الشعوب التي دخلت في الاسلام، هي التي تفسح المجال واسعا لتعميق الروابط الوحدوية بين هذه الشعوب الاسلامية)).

(من كلمة السابع من نيسان ١٩٨٩)

١١. ان انتصار الفكرة القومية التي تتمثل بالعمل القومي والتوجه الوحدوي، في المعركة مع العدوان الشعوبي ، يدل على الطريق الاصوب والانجح لمواجهة الظاهرة السياسية ــ الدينية .. فالتجزئة هي التي تغرى بالعدوان على العرب، وهي التي تخلق المناخ الملائم لانتشار الظواهر الانقسامية والتفتيتية للمجتمع العربي، وهي التي تبعد العروبة عن دورها الانساني، وعن دورها الجهادي الاسلامي.

١٢. ان تعميم روح الانتصار، وروح النهضة يعزز المناعة ضد الظواهر التي تستفيد من حالات الاحباط والقنوط والانعزال، وذلك يستدعي نشاطا فكريا مكثفا وهوية سياسية، وعملا قوميا ومستقبليا، يرتفع بالعمل النضالي الى صعيد جديد، يعيد الحياة الى التاريخ العربي، ويشد الجماهير الى الاهداف القومية، ويفجر فيها حوافز البطولة، ويحررها من القيود الفكرية والاجتماعية التي تتركها في حالة من الاستسلام لتناقضات واقعها، وفي حالة من العجز عن مواجهة تحدياته بنهضتها المعاصرة.

١٣. ان المضي في بناء النموذج القومي الحضاري المؤمن المشع، بعد فشل التجارب الماركسية والدينية، هو الجواب الايجابي الصحيح على كافة الظواهر السلبية، وفي مقدمتها الظاهرة السياسية ـ الدينية التي تستغل الدين للانحراف به عن هدفه الروحي الأنساني الحضاري، وعن دوره الثوري الحقيقي في حياة الافراد والمجتمع .. والتي تحاول بعض الحركات الدينية، عن طريقها، ان تمرر برنامجا سياسيا واقتصاديا باسم الاسلام، على حساب الجماهير المسلمة، والمعاني السامية للاسلام، وفي مقدمتها العدالة الاجتماعية.

١٤. ان الدعوة لطمس الخصوصيات الوطنية والقومية، باسم الدين، هي دعوة مضللة، وغايتها تسليط غير العرب على العرب، لسلبهم دورهم الديني والانساني وتحطيم شخصيتهم القيادية داخل الامة الاسلامية ((التي ليس هناك تعارض بينها وبين الامة العربية، لأ، معنى (الامة الاسلامية) هو الدين المشترك، ومعنى (القومية العربية) هو الانتماء القومي الواحد.فالحركات الدينية او التي تتغطى بغطاء الدين في الوطن العربي، ينبغي ان تواجه، ايضا، بتذكير الشعوب والامم بواجباتها الدينية والدنيوية الصحيحة، وبما يتعلق، بوجه خاص، بحقوق الانسان والعلاقات الانسانية الصحيحة)).

(من مقالة الرفيق صدام حسين حول الحركات السياسية الدينية والمغطاة بالدين في ٣ / ٦ / ١٩٨٧).